تحليل الخطاب والترجمة – رحلة البحث عن المعنى

Discourse Analysis and Translation – A journey in search of meaning

العيدي عبد الحليم فاروق*

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر)،

مخبر الانتماء

Farukt68@yahoo.fr

الاسم الكامل للباحث الثاني

مؤسسة الانتماء،

مخبر الانتماء

Email

تاريخ الاستلام: 2023/01/02

تاريخ القبول: .2023/04/28 النشر:2023/05/31.

ملخص:

تروم هده الورقة النظر في علاقة الترجمة بتحليل الخطاب بصفته أداة بين يدي المترجم ليضطلع بمهمته في الكشف عن المعاني الكامنة في النصوص ونقلها. ولما كان من الضروري أن تمر الترجمة حتما عبر الفهم، تلقى عملية تأويل المعنى نسبية وتتباين بتباين قدرات المترجم التحليلية وكفاءاته اللغوية والثقافية والمعرفية. وعادة ما يُحدّد نجاح الترجمة بمدة توافق النصوص الأصلية وترجماتها من حيث المعنى والمغزى، حتى وإن أراد المترجم تطويعهما تلبية لأهداف المرجوة من الترجمة. ومنه، تظل مسألة الوصول إلى المعنى مشكلة تؤرق كل مترجم ينتابه هاجس عدم التوفيق في فهم المعنى الأصلي للنص المزمع نقله إلى النص الهدف. وضمن هده المسعى، أردنا تتبع مسار تحليل الخطاب المؤدي إلى فهم المعنى، والنظر في ماهية المعنى ومفهومه. .

الكلمات المفتاحية: خطاب؛ تحليل الخطاب؛ دلالة؛ معنى؛ سياق ومقام

Abstract :

This paper aims to study the relationship of translation with discourse analysis, by which the translator try to reveal and convey texts meanings. Since translation process occurs through understanding, the interpretation of meaning remains relative and dependent upon the translator's analytical, linguistic, cultural and cognitive skills. However, good translations rely on the original and target texts equivalence in terms of senses, even if the translator adequate them for a purpose. Therefore, meaning is a problematic issue for any translator worried about understanding the original text meaning to reproduce in the target text. In this perspective, we want to track the discourse analysis path, to look for what meaning is, what is its concept.

KeyWords: discourse ; discourse analysis ; meaning; sense ; context and situation.

*المؤلف المرسل

المقدمة:

تضطلع الترجمة بدور الوسيط بين اللغات لأنها تُتيح إيصال الرسالة من مرسلها إلى المتلقي بلغات مختلفة، وهي تتكفل بنقل خطاب شفوي أو كتابي يحمل أفكارًا ومعانيَ ومعارفَ من لغة الانطلاق (اللغة الأصل) إلى لغة الوصول (اللغة الهدف). وهي عملية تندرج ضمن محاولات المترجمين في تيسير نقل المعنى بين منتج النص ومتلقيه كل في إطاره الاجتماعي الخاص به.

شهد مطلع ثمانينيات القرن الماضي صدور كتاب دوليل Delisle "analyse du discours comme méthode de traduction" (1980)، معلنا نشأة مقاربة تحليل الخطاب في دراسات الترجمة باعتباره منهجا يتسنّى للمترجم من خلاله الغوص في أعماق النصوص في مغامرة البحث عن المعنى المنشود ونقله في عملية تواصلية بين منتج النص الأصل ومتلقي النص الهدف، كما يُسهم المنهج نفسه في تدريب المترجمين وتحليل الترجمات بغرض نقدها وتقييمها. وما ظهور كتاب جيريمي موندي Jeremy Munday "Discourse Analysis in Translation Studies" (2017) إلا تأكيدا وتأييدا على ضلوعه في الترجمة ونظريتها.

ستتضمن ورقتنا البحثية بيانا لماهية "الخطاب" دون أن يغيب عنّا الخوض في الجدل المفاهيمي الحاصل بين الخطاب والنص، ويليه محاولة لتحديد مفهوم منهج تحليل الخطاب وعرض مساهماته في ميدان الترجمة، والنظر في مساره ودوره في الكشف عن المعنى بصفته محور الترجمة وجوهرها. وتنتهي دراستنا بتعريف المعنى والإحاطة بمفهومه، ثم خاتمة تشمل نتائج البحث.

I. النص والخطاب:

كثيرا ما طُرح الجدل بين مفهومي النص texte والخطاب discours من حيث ترادف أو اختلاف معنييهما، فالخطاب مرتبط بالتلفظ والسياق التواصلي. أما النص فيتميّز بكونه مجردا من السياق بشكل كُلّي. فالنص هو عبارة عن متتاليات من القطع اللغوية المجردة من السياق. في حين، الخطاب هو ملفوظ له خصائص نصية لكنه يتميّز في كونه فعلا خطابيا أنجز في وضعية معينة مرتبطة بسياقها التواصلي الوظيفي تشمل المكان والزمان وسياق الحال، أي الظروف غير اللغوية المنتجة له. (حمداوي جميل، 2015، ص8) و يُعد الخطاب الحيّز الذي تلتقي فيه البنية المجردة بواقع الاستعمال الفعلي، فليس الخطاب مجرد سلسلة من الكلمات أو المركبات الجملية، بقدر ما هو سلسلة من التصورات (الذهنية) المقترنة بتلك الأشكال، والتي تنبثق الواحدة منها من سابقتها وتتطور منها. (رونالد لانقاكر، 2018، 793)

ويُميّز ويدوسون Widdowson بين النص والخطاب، فالنص بالنسبة له هو استخدام اللغة لغاية معيّنة، وأن استخدام اللغة في النص يتم بنية الإشارة إلى الأشياء لغرض ما، وهذا يعني أن النصوص مبنية لتوصيل الرسائل أو التعبير عن الأفكار أو استكشافها، وتحفيز الآخرين على القيام بأفعال معيّنة وما إلى ذلك من الأغراض. ويرى كذلك أن الغرض التواصلي هو الخطاب الكامن وراء النص. ويرى أنه من واجب القراء والمستمعين والمترجمين، في تفسيرهم للنص، تَمثُّل النص على أنه واقع تواصلي من خلال استعادة معناه، أي عليهم تفسير النص على أنه خطاب. ومنه، استلهمت جوليان هاوس House تعريفا للنص مفاده أن « النص كيفما كان، هو الأثر اللغوي للخطاب المقصود من خلال الكلام المنطوق أو المكتوب. حيث يُحيل الخطاب إلى المعنى الذي ينوي الشخص التعبير عنه عند إنتاج نص، ويستوجب من المتلقي والمترجم أن يجد له تفسيرا من النص». (Munday, 2017, p.48)

استنادا لما سبق، يُمكننا القول بأن الخطاب هو « الاستعمال اللغوي في سياقات فعلية، يتشكل على المستوى النحوي والدلالي لتحصيل تفاعل عند استعمال بعض الأشكال اللغوية». (Machin & Mayr, 2012, p.20) ومعناه أن الخطاب هو عملية تفاعل لغوي بين متحدث ومستقبل في سياق اجتماعي مُعيّن، ويُقابله مصطلح "الكلام" (parole) بالمفهوم السوسيري.

II- ماهو تحليل الخطاب؟

إذا كان أساس دراسة النص لغة تستلزم دراسة كل الوحدات من حيث التركيب والبناء التي تتكفل بنقل الخطاب (نص دون ظروف الإنتاج)، فإن تحليل الخطاب هو الفرع الذي ينظر في القواعد التي تحكم إنتاج الجمل المتتالية وفق نظام معيّن. (Dict. de linguistique Larousse)

وعند النظر في هذه الجمل، يتبيّن أن الكلمات تكتسب قيمة لها في علاقاتها مع العلامات الأخرى داخل النظام اللغوي، وأن هذه القيمة هي ذات طبيعة بنيوية بحتة، حيث يفلت تصورها أو فهمها من الوعي اللغوي، والأمر يتطلب من أجل اكتشافها أن يبذل اللسانيُ جهدًا خاصًا. أما المترجم، فيعمل من جانبه على مستوى الإحالات وليس على مستوى القيمة. ومنه، نجد أن الأول يعمل على تحليل اللغة، ويعمل الثاني على تحليل الخطاب. (Delisle, 1980, p.59)

ويكمن محور تحليل الخطاب في تحديد العلاقة بين اللغة المستخدمة للتعبير عن خطاب معين، بسياقها والوظيفة التي تؤديها. وينظر تحليل الخطاب أيضا في أنماط اللغة المستعملة في النصوص ويأخذ بعين الاعتبار العلاقة بين اللغة والسياق الاجتماعي والثقافي الذي جاء فيه، والطرق التي يتم وفقها استخدام اللغة لعرض رؤى ومفاهيم مختلفة عن العالم. كما ينظر في الكيفية التي تتأثر بها اللغة بواقع العلاقات التي تربط المشاركين. (Munday, op.cit, p.1)

اعتبارا لما سبق، نخلص القول أن تحليل الخطاب هو ذلك المنهج الذي يُساهم بجوانبه النظرية والتطبيقية في تأويل المعنى قصد فهم النصوص، و يتبوأ مكانة هامة في تدريب المترجمين وتحليل الترجمات.

III- تحليل الخطاب والترجمة:

يمكن لتحليل الخطاب تقديم مساهمة بالغة الأهمية تُفيد في حل مشكلات الترجمة ضمن عملية ذهنية ومعرفية معقدة تنطلق من القراءة والفهم فالتأويل ثم إعادة الكتابة، تُؤدي بالمترجم إلى خيارات وقرارات مُعلّلة. ومن شأن « فهم الخصائص الدلالية للكلمات، أن يجعل هذا النوع من النشاط الذهني حيويا ومتطورا في الآن نفسه، وعندما يقوم المترجم، في النهاية، بإنتاج ترجمته في اللغة الهدف، فإنه يكون قد أنتج شكلا مكافئا لواقع اللغة المصدر لا شكلا مطابقا لهذا الواقع.» (عبد الله الحميدان، 1998، ص 14) ويرى دوليل أن العمل على مستوى المعنى حين النقل بين اللغات هي عملية تحليل وإرجاع للعلاقات الدلالية. ويعد هذا الإجراء التأويلي الذي يخص النص وتحليل الخطاب الذي يحتويه عملا ذهنيا لا ينتهي بالمواجهة البسيطة بين نظامين لغويين، بل يتطلب قدرة فائقة على الفهم وتحكما كبيرا في اللغة. (Delisle, op.cit, p. 16)

وفي سياق الحديث عن علاقة الخطاب بالترجمة ومساهمة تحليل الخطاب في الدراسات الترجمية، ترى جوليان هاوس House أن تحليل الخطاب هي مقاربة نصية تعمل على توضيح وظيفة (وظائف) الكلام انطلاقا من موقعه المحدد في النص/الخطاب، أو وظيفة (وظائف) جزء من الكلام داخل وحدة أكبر. وكما هو الحال في جميع المقاربات اللسانية، فإن موضوع البحث ذو شقين: النظر إلى الكلام في موضع (معين) أولا، والنظر في كيفية بناء الخطاب من خلال هذا الكلام بالتوافق مع باقي الملفوظات ثانيا.(Munday, op.cit, p.47) و ترى هاوس وفق نموذجها التطبيقي في تحليل النصوص، أن أسلوبي المقارنة والتقييم في الترجمة يعتمدان على مسار تحليل الخطاب لتحديد وظيفة النص التي قد يتم الحفاظ عليها أو إهمالها خلال عملية الترجمة. وأن تحليل الخطاب من جهة ثانية، منهجًا موجهًا نحو عملية الأداء اللغوي performance، وأن الترجمة بصفتها ظاهرة عملية بارزة لا يمكن إنكار أنها ذات صلة بمسألة الأداء اللغوي، وأن المنهجية التي يوفرها تحليل الخطاب هي بكل وضوح منهجية مناسبة لاكتشاف النماذج اللغوية والاختيارات الممنهجة التي يقوم بها المترجم للخروج بفرضيات تُفسّر الأسباب الكامنة وراء هذه الاختيارات بناء على تفاصيل الإجراءات التحليلية للخطاب. وتعد طرق تحليل الخطاب المنتهجة لاكتشاف ووصف وتقييم اختيارات الرموز اللغوية وتسلسلها من حيث ملاءمتها للكلام المنطوق أو المكتوب، طرقا ذات صلة وثيقة بالترجمة. والحال كذلك، نجد أن تحليل الخطاب يتبوأ بلا شك دورًا مهمًا في دراسة الترجمة، وتظهر أهميته بشكل واضح في المقاربات التي تجمع بين نماذج تحليل الخطاب في النصوص الأصلية والمترجمة ومقارنتها بنماذج إجرائية تحليلية أخرى كمّا ونوعا تمس الخطاب.(Munday, ibid, p.49) ونستنتج من حديث هاوس أن للوظيفة أو الغرض المسند للنص أهمية بالغة في نظرية الترجمة وممارستها من جهة، وأن منهج تحليل الخطاب له صلة وطيدة بالترجمة من جهة أخرى.

ويُمكن أن تكون لعملية تحليل الخطاب أغراض متعددة، لكن ينحصر مفهوم تحليل الخطاب في ورقتنا هذه ضمن التحليل المتصل بالترجمة أي تحليل النص المصدر لغرض الترجمة وذلك بتحديد سمات نصية خاصة لها صلة بإنتاج الخطاب المراد ترجمته، والتعرف على البُنى اللغوية والتفكير في وظيفتها في سياق تواصلي مُعيّن. ومن شأن هذا

التحليل أن يُساهم في فهم المعنى الكامن في النصوص الأصلية واتخاذ القرارات المعلّلة لاختيار المفردات والصيغ المناسبة لإعادة إنتاج ذلك المعنى في النص الهدف، وفي السياق والثقافة الجديدين لمخاطبة جمهور جديد ومغاير. (شافنر، 2007، ص11)

وتجدر الإشارة إلى أن المقاربات السيميائية واللسانية والاجتماعية اللسانية واللسانيات المقارنة والتأويلية بالرغم من اختلافها، تسعى ولو بطرق متباينة إلى البحث في الجوانب اللغوية والثقافية والنفسية المختلفة التي تُفضي إلى إيجاد مكافئات ترجمية بين لغة الانطلاق ولغة الوصول. وعند النظر في إسهاماتها الرئيسية، نستطيع تحديد نوعين من المكافئات: "المكافئات الدلالية transcodées" وهي تعني التطابق في معاني الكلمات بين لغة وأخرى، ونجدها في المعاجم، ثم "المكافئات السياقية contextuelles" التي تعنى مكافئات تحمل معاني تتحدّد في السياق ويتطلب نقلها استعمال وسائل لغوية تختلف عن تلك المستعملة في لغة الأصل للتعبير عن المعنى ذاته. ومن أجل تبديد اللبس والمفاهيم الخاطئة التي تسود نظرية الترجمة وتعليميتها، يجب التمييز بين هذين النوعين من المكافئات والاهتمام بهما اهتماما كافيا، بالرغم من أن خطوات تحليل اللغة هي غير خطوات تحليل الخطاب على الإطلاق. (Delisle, op.cit, p. 46)

وتحتاج الترجمة إلى كفاءة لغوية (التي تُمثل عنصرا هاما في الترجمة) تُصاحبها كفاءات فرعية أخرى على غرار كفاءات ثقافية ونصية وبحثية ومعرفية تخص موضوع النص المراد ترجمته، إذ يعتبر الزاد الثقافي والمعارف الخاصة والتجارب والمكتسبات إضافة إلى القدرات الفكرية والتحليلية والحنكة من بين الكفاءات التي يتسلح بها المترجم بصفته متلقيا، يوظفها توظيفا فعّالا لبناء معاني النص ومقاصده ورفع اللبس عنها وفق السياق اللغوي وغير اللغوي الذي جاءت فيه. وتُعرف هذه القدرات بالمكمّل المعرفي complément cognitif الذي يُعرف بأنه «مجموع المعارف غير اللغوية التي يُعبّئها المترجم أثناء بحثه عن المكافئ، وهي تُضاف إلى المفاهيم المرتبطة بالعلامات اللسانية ارتباطا ثابتا». (Delisle, 1997, p. 24) ومعناه أن لا يقتصر دور القارئ في تفسير دلالات الأبنية اللغوية فحسب، بل يتعيّن عليه إضافة معارف وتصورات تُثري عملية التفسير تجعل قدرات التحليل أوفر.(سعيد حسن بحيري: 1997، ص170) بالإضافة إلى المقومات المعرفية، على المترجم أن يتشبع بالمعلومات التي يستشفها من النص من خلال القراءة (وربما القراءة الثانية والثالثة) يتزود بها بتقدمه شيئا فشيئا في عملية القراءة والتأويل ويُخزّنها ليستعين بها في تأويل باقي الخطاب أو تأويل نصوص أخرى، وهو ما يُعرف بالسياق المعرفي contexte cognitif الذي يُعرّفه دوليل على أنه «مجمل المعلومات المتراكمة التي يُخزّنها المترجم بتقدمه في عملية قراءة وتأويل النص الأصل، ومنها يتحدّد فهمه لذلك النص». (Delisle, op.cit, p.25)

بات من المؤكد أن الانتقال من النص الأصل إلى النص الهدف يمر بعملية فكرية وسيطة (عملية أو مسار الترجمة processus de traduction) تتضمن على التوالي القراءة والفهم وإعادة الصياغة، يتم فيها استحضار الزاد اللغوي والثقافي والمعرفي الذي من شأنه أن يرفع من قدرة المترجم في تأويل دلالات الكلمات والجمل بغية استخلاص المعنى وإعادة بنائه في نص الترجمة. فكلما زادت الكفاءة التحليلية، كان السبيل إلى المعنى الحقيقي

أقرب، وبالتالي يتسنّى للمترجم في عملية انتقاء مستمرة بين عدة تأويلات ممكنة، اتخاذ قرارات وخيارات مُعلّلة في النقل عن بصيرة ويقين سواء بالحفاظ على معاني النص الأصل أو تطويعها بطريقة واعية تلبية للأهداف المرجوة من النص الهدف (الترجمة).

VI- المعنى والترجمة

تعد مسألة المعنى قضية فلسفية بالدرجة الأولى ترتبط بعلاقة اللغة بالفكر، فلا شك أن التفكير في أغلب الحالات يقتضي استخدام اللغة، وأن لطبيعة اللغة أثر كبير في طبيعة التفكير، فثمة علاقة تأثير وتأثر بين اللغة والفكر تُفضي إلى إنتاج التراكيب اللغوية لأغلب الخطاب الذي نتلفظ به، لأن الفكر هو تعبير عن أغراضنا وآرائنا ومواقفنا. وعند الحديث عن المعنى من وجهة نظر ترجمية، فنقول بأن المعنى هو ضالة المترجم ولُبّ الترجمة و روحها، إذ يُعد نقل المعنى من لغة إلى أخرى محور العملية وأساسها، وتتجسّد به الوظيفة التواصلية المنوطة بها. تقول جوليان هاوس : «يرتكز جوهر الترجمة في ضرورة المحافظة على علاقة المعنى بين لغتين مختلفتين». (ذكر في يوسف نور عوض، 1410 هـ، ص 101) لذا يتعيّن علينا الإحاطة بتعريف المعنى والنظر في ماهيته ومفهومه في ضوء النظريات اللسانية والترجمية.

1. ماهية المعنى من منظور لساني:

المعنى هو «الحاصل النهائي لعمليات الفهم ... وهو في الوقت نفسه المعنى المراد والمعنى المفهوم والتطابق المفترض بينهما». (Delisle, 1981, p. 124) ومعناه أن عملية التأويل عبر ذلك المجهود الفكري والعقلي الذي يقوم به المتلقي تُفضي إلى استنتاج المعنى حتى تكتمل صورة التواصل. والمعنى حسب تعريف كاتفرد Catford هو «شبكة العلاقات التي يتضمنها كل شكل لغوي سواء كان نصا أو تركيبة أو كلمة أو أي عنصرا منها مهما كان ... وأن هذه العلاقات التي تُضَمِنها الوحدات اللغوية الشكلية Formal linguistic على المستوى النحوي أو المفرداتي هي نوعان: علاقات شكلية وعلاقات سياقية. ويعني بالعلاقات الشكلية علاقة الكلمة بباقي الكلمات في النظام الشامل الخاص بلغة مُعيّنة أو بالوحدات النحوية المختلفة أو أحد عناصرها، وتُشكّل المعنى المرجعي. أما العلاقات السياقية فتُحيل إلى علاقات الكلمات والوحدات النحوية في المقام situation الذي جاء فيه سياق الكلام أو في النص فتُشكّل المعنى السياقي للشكل اللغوي».(Catford, 1965, p.35) ومعناه أن المعنى المرجعي ينشأ على مستوى اللغة Langue، وأن المعنى السياقي ينشأ على مستوى الكلام parole. ولعلّ أكثر شيء نُثمّنه من آراء كاتفرد من وجهة نظر ترجمية أن الألفاظ في كل لغة لها معاني خاصة بها، ما يُفسّر تباعد دلالاتها من لغة إلى لغة أخرى وعدم تطابقها لأنها لا تُعبّر عن التجربة الإنسانية نفسها، ولهذا فهو يتحدث عن تطابق تقريبي لأن التطابق التام بين معنى مفردتين في لغتين لا يحدث إلا نادرا.

ويرى بلومفيلد Bloomfield في نظريته التوزيعية أن إدراك المعنى يفتقد إلى الدقة العلمية، ومنه وجب ربط تفسير المعنى بعاملي التأثير والاستجابة. ويرى دي سوسير De Saussure أن رابطة المعنى هي التي تصل العلامة اللغوية بتركيبتها الصوتية أو الكتابية (الدال) بالمفهوم أو الصورة الذهنية التي تُحيل إليها (المدلول)، ومن ثمّ

يصبح الرابط بينهما علاقة الدال بالمدلول أو ما يُعرف بالدلالة la signification، حيث تكتسب الكلمات قيمة في علاقاتها مع العلامات الأخرى داخل النظام اللغوي، و لا تُشكّل هذه القيمة في الحقيقة إلا عنصرا أو جزءا من الدلالة. إن ثمة ترابط بين الألفاظ وبين مدلول هذه الألفاظ، وهذا الترابط هو ما يُثير البحث في العلاقة بينهما للوصول بعد ذلك إلى محاولة معرفة ارتباط الألفاظ بالمعاني وكيف يتّم شحن المعنى داخل اللفظ. ويُعد الجرجاني من أبرز من حاول الوصول إلى معرفة سّر هذه العلاقة المتداخلة، في قوله: « الألفاظ لا تراد لأنفسها وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني، فإذا عدمت الذي له تراد أو اختل أمرها فيه لم يعتد بالأوصاف التي تكون في أنفسها عليها، وكانت السهولة وغير السهولة فيها واحدا». (الجرجاني، 1992، ص.77)

وقد ساهمت جهود جورج مونان Georges Mounin في ضبط مفهومي الدلالة signification والمعنى sens والتمييز بينهما، فالدلالة بالنسبة له هي حاصل مجموع المحتويات الدلالية للألفاظ المجردة، والمعنى هو ما يُحيل إلى ملفوظ خاص وحقيقي يتجلى بوضوح ضمن سياق وظروف إنتاجه. (Mounin, 1972, p.297) ويُقابلهما دي بوغروند ودريسلر باللغة الانجليزية بكلمتي meaning و sense. (De Beagrande & Dressler, 1981, p. 84) . ويُعرّف دوليل Delisle الدلالة signification بما يُحيل إليه اللفظ في النظام المجرد للغة، والمعنى sens بما تُحيل إليه أية علامة عندما تندرج في ملفوظ واقعي ملموس ضمن تركيبة لغوية وليدة الكلام الفردي. إذ يُمثل معنى الكلمات والتراكيب تلك الدلالات البيّنة التي تتأتى تبعا لدحض تعدد الدلالات polysémie التي تكتنفها بفضل السياق أو المقام التي جاءت فيه. حيث يتجلّى معنى الرسالة بتضافر وتداخل دلالات الكلمات والتراكيب التي تحمل الرسالة بملابساتها غير اللغوية، وهي توحي إلى مقاصد صاحب الكلام. (Delisle, 1980, p.59) ومعناه أن المعنى الدلالي هو معنى اللفظ أو العبارة بمعزل عن سياق محدّد وهو معطى لغوي، أما المعنى السياقي فلا يتطابق تماما مع المعنى الدلالي لأنه لا يكمن في الألفاظ والعبارات بل هو وليد عمليات التخاطب والتواصل بين الناس، وهو يُبني من الجمع بين دلالات ملفوظات لغوية وتضافرها في النص بملابساته غير اللغوية (السياق أو المقام).

ومن الواجب استحضار المقام situation الذي ينم عن تلك الظروف والملابسات المنتقاة من النص مثل نمط النص والبيئة والخصائص الأسلوبية والفكرية وكذا الجمهور المتلقي، لأنها عوامل لها وزنها في عملية تأويل المعنى تأويلا صحيحا يضمن بها ترجمة أقرب إلى المعنى الأصل. ويقول جورج مونان في تعريف المقام: «تُحيل اللسانيات تسمية المقام على كل المعلومات الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والثقافية غير المدرجة في الملفوظ». (Mounin, 1976, p. 115) ومعناه أن يواكب المتلقي الظروف المحيطة بإنتاج النص (السياقات غير اللغوية)، حيث كلما كان بيان الوصف للمقام وافيا في النص، كان السياق غير اللغوي أوضح، ليزيد معه المعنى وضوحا حتى لا تعتريه شبهة ولا لبس. والأمر سيان بالنسبة للمترجم، لأن العملية نفسها ضرورية من أجل تحصيل المعنى ممّا يسمح بتقديم ترجمة وافية للرسالة التي يحتويها ذلك الملفوظ.

أما التداولية، فتهتم بآليات بناء المعنى في عملية التواصل وكيفية تحويل الفكر إلى بنية لغوية عند المرسل أو الباث (Emetteur) وكيفية تأويل تلك البنية اللغوية إلى معنى عند المرسل إليه أو المتلقي (Récepteur)، وتُحدّد اللسانيات التداولية عوامل نجاح عملية التواصل وانتقال المعنى من متكلم إلى آخر بتجاوزها للجانب اللغوي (الجملة بمكوناتها المعجمية والتركيبية)، إلى الجانب غير اللغوي والمتمثل في مقام (situation) عملية التواصل وكذا الظروف المصاحبة لها والمميزات الثقافية التي تكتنفها. وقد شكّل ذلك الجانب الأبرز في الانتقال من لسانيات اللسان التي توقفت في تحليلها عند حدود الجملة، إلى لسانيات الكلام التي تعنى بأبعاد الظاهرة اللغوية. وقد أدى هذا التصوّر إلى دراسة اللغة خارج بنيتها الشكلية، وذلك بإدماج المكوّن التداولي الذي يحيل على معطيات سياق القول أو إنتاج النص، وهي المعطيات التي تؤثر في بروز المعنى المتعلّق بالمقصد أي الدّلالات اللغوية التي لا تقع على المستوى السطحي أو المباشر من المعنى والمرتبطة بالتأويل، وهي التي تؤخذ بعين الاعتبار في تحديد أبعاد الظاهرة اللغوية. وقد يتجلّى ذلك في التحول الذي يعتري الدّلالات حينما تُدرج في الكلام لتنقل المعاني التي يُحمّلها إيّاها مستعمل اللغة، إلى جانب الحمولات الفكرية والثقافية التي تنقلها وفق مرجعية معينة. وفي هذا السياق يتمّ تجاوز الحديث عن الدّلالات اللغوية أو المعجمية بوصفها عناصر لسانية ثابتة معطاة تنتمي إلى نظام اللغة إلى ما تتلوّن به وتوحي إليه على مستوى إنتاج النصوص الكلامية. ومنه تتّضح أهمية المقاربة التداولية في الترجمة لأنها تبحث عن المعنى الصحيح دون سواه ونقله بدقة،(كريمة سالمي، 2022، ص 559-576) وأن إمكانية فهم أو نقل معنى معاكس للكلام تبقى واردة بسبب الاعتماد على المحتوى الدلالي دون إرجاعه إلزاميا للسياق الذي جاء فيه بالتضافر مع المعلومات السياقية التي ورد فيها. (Hickey, 1998, p.42) وفي هذا السياق، تقول جوليان هاوس «بأن هدف الترجمة يرتكز على تحقيق التكافؤ البراجماتي ... وأن الترجمة هي إعادة صياغة براجماتية للنص المصدر بلغة الهدف». (هاوس، ذكر في يوسف نور عوض، المرجع السابق، ص 103)

وفي اللسانيات المعرفية، تبرز منجزات دراسات اللسانيات الإدراكية في التركيز على الدور الجوهري والحاسم للذهن والدماغ البشري في اللغة الإنسانية، فالمعنى من المنظور المعرفي نتاج تفاعل ذهني سواء من حيث بنائه أم من حيث تلقيه، وتدخل فيه مجموعة من الاعتبارات، منها ما هو لغوي ومنها ما هو غير لغوي وفق معطيات لغوية خطية، ومعطيات مقدرة ذهنيا متمثلة في خلفية الفرد المعرفية، فالمعاني تُبنى وفقا للتفاعل الاجتماعي، فعوض أن تكون ثابتة ومحددة مسبقا، فإنّها تتكون بالتفاوض بين المتحاورين على أساس المقام المادي واللغوي والاجتماعي والثقافي. فالمعنى يمثل حصيلة إدراك الإنسان للعالم. (رونالد لانقاكر، المرجع السابق، ص80)

وتفترض البحوث في اللسانيات المعرفية أن البناء الدلالي هو بناء تصوري لأن اللغة تشير إلى تصورات في ذهن المتكلم أكثر من إشارتها إلى أشياء في العالم الخارجي، لذلك فالمعنى هو طريقة مخصوصة في انبناء ذلك المضمون على المستوى الذهني، وهو ما يعني إمكانية اختلاف التصورات حول الوضعية الموصوفة الواحدة. (رونالد لانقاكر، المرجع نفسه، ص 81) وقد تختلف الأوصاف اللغوية لكنها تعكس اختلافا في البنى التصورية، وهو ما يعني تباينا في رسم العالم وتحديده لغويا، ففي آخر المطاف نجد أن «المعنى لا يطابق المفاهيم ولكن يطابق

المفهمة conceptualization، وتحدد المفهمة تحديدا واسعا لتضم أي وجه من وجوه التجربة الذهنية وهذا على نحو :

1–التصورات الجديدة والتصورات القائمة.

2–المفاهيم الحسية والحركية والتجربة العاطفية كذلك عوضا عن المفاهيم الذهنية فقط.

3–إدراك السياق المادي واللغوي والاجتماعي والثقافي.

4–التصورات التي تتبلور وتتجلى من خلال زمن المعالجة الذهنية.

فالمفهمة ليست سكونية حتى إذا ما اعتبرت (المفاهيم) كذلك». (رونالد لانقاكر، المرجع نفسه، ص6)

وانطلاقا من مفهوم المعنى من وجهة نظر إدراكية، ترتسم الصورة التي يتسنى وفقها لأولئك المترجمين أن يعبرّوا في اللغة الهدف عن فكرة ما باستبدال صياغتها تمهيدا لنقلها إلى اللغة المصدر، إذ يُفسر "جونسن وليرد" رؤيته لهذه القضية بقوله: "لا أحد يعلم علم اليقين الكيفية التي يتم بها تمثل المعنى في الذاكرة، لكننا نعتمد على أن العناصر التي يتشكل منها المعنى، هي ذات طبيعة لغوية، ويتم توظيف هذه العناصر في السيرورة المعرفية التي سبقت الإشارة إليها، ومن ثم يمكن القول إننا في الممارسة الترجمية لا نحتاج إلى معرفة الكيفية التي يتم بها تمثل المعنى، بل نحتاج بكل تأكيد، إلى معرفة الكيفية التي يتشكل بها المعنى خارج العوامل اللغوية. (عبد الله الحميدان، المرجع السابق، ص. 87)

2. ماهية المعنى من منظور ترجُمي

نال المعنى في الدراسات الترجمية حصة كبيرة من الدراسات لأنه ظل الشغل الشاغل لكل منظر ومترجم يطمح إلى تحديد مفهوم المعنى الذي تتكفل الترجمة بنقله من لغة إلى لغة أخرى. وكان من بين المشتغلين في هذا الموضوع، المترجم والمنظر يوجين نايدا E. NIDA الذي استمدّ أفكاره حول طبيعة المعنى من مقاربات علمية متعددة ومختلفة تتصل بالمعنى لها علاقة بأعمال بعض المنظرين في مجالي علم الدلالة والتداولية. وقد ساهمت أفكاره حول المعنى في الانتقال من فكرة ثبات المعنى التقليدية إلى تعريف وظيفي تكتسب فيه الكلمة معناها من خلال سياقها، حيث يُمكن أن تنتج استجابات متفاوتة وفقًا لثقافة المتلقي. وهو يُسند للمعنى ثلاثة أوجُه: أولا : المعنى اللساني (اقتراض عناصر من نموذج تشومسكي). ثانيا: المعنى المرجعي أو المعجمي. وثالثا: المعنى الإيحائي. إذ يُمكن اكتشاف كُلا من المعنى المعجمي أو الإيحائي بواسطة تحليل البنى السطحية والتفريق بينها وبين قريناتها في الحقل المعجمي نفسه. ويتبيّن من خلال تحليل البنى الدلالية أن الكلمة تكتسب معناها في السياق الذي تتواجد فيه، وأن الكلمة تحتمل استجابة مختلفة لدى الأفراد حسب الثقافة التي ينتمون إليها. وقد أعطى السياق التواصلي أهمية كبرى خاصة عند التعامل مع التعابير المجازية والعبارات الاصطلاحية المعقدة التي يكون معناها غير معاني الكلمات المتتالية في العبارة. (Munday, 2001, p. 38)

واستنادا إلى النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي ونموذجها التحليلي، وضع نايدا أسس علم الترجمة الذي أكسب الدرس الترجمي والتراجمة على وجه الخصوص تقنيات تساعدهم على تفكيك شفرات النص الأصل ثم إعادة تشفيره مجددا في النص الهدف. وتمرُّ هذه العملية بثلاث مراحل هي :

أ- مرحلة التحليل : وهي مرحلة يتم فيها تحليل البنى السطحية للحصول على العناصر القاعدية للبنى العميقة.

ب- مرحلة النقل: ويتم فيها عبر العملية الترجمية نقل محتوى التحليل أي العناصر القاعدية للبنى العميقة إلى بنى سطحية في اللغة الهدف.

ج- مرحلة إعادة التركيب : وتتم فيها عملية إعادة بناء أو إعادة صياغة البنى السطحية في النص الهدف دلاليا و أسلوبيا. و يترتب عن إعادة الصياغة و البناء بعض التعديلات على المستوى النحوي و المعنوي. (Munday, ibid, p. 39)

وفي النظرية التأويلية أو نظرية المعنى في الترجمة التي تأسّست في مدرسة باريس على يدي ليدرير وسليسكوفيتش Lederer & Seleskovitch، يأخذ المعنى مكان الصدارة لأن تحصيل المعنى شرط أساسي من شروط الترجمة ولا يمكن أن تحصل إلا بعد التمكن منه. وليس الوصول إلى المعنى دوما بالأمر السهل، فيُمكن أن تحول بين المترجم والمعنى عقبات على المستوى اللساني أو الثقافي أو الأسلوبي أو غيره. وتتأسّس النظرية التأويلية على ثلاثة مراحل للظفر بالمعنى هي الفهم وتجريد الأشكال اللغوية وإعادة الصياغة في لغة مغايرة: (Lederer, 1994, p. 1)

أ- مرحلة الفهم/التأويل compréhension/Interprétation :

وهي مرحلة تتطلب على التوالي كفاءة لغوية ومعرفية تتعلق بسياق الكلام، يتم فيها تأويل الخطاب في اللغة الأصل بغية الكشف عن المعنى.(Lederer, ibid, p. 23) ولا تقتصر عملية التأويل في النظر إلى الجانب اللغوي لأنه لا يكفي للإحاطة بالمعنى، بل تتعدى ذلك إلى التمعن في السياق.

ب- مرحلة التجريد Déverbalisation

وهي عملية فكرية إدراكية يقوم المترجم خلالها بتجريد اللفظ من غطائه لاكتشاف المعنى ثم إعادة صياغته وفق خصوصيات اللغة والثقافة الهدف وتطلعات القارئ. (Lederer & Seleskovitch, 1986, p.13)

ج- مرحلة إعادة الصياغة Réexpression

وفيها تتم عملية إعادة صياغة المعاني المستخلصة وليس الكلمات المستعملة في الأصل، (Lederer, op.cit, p. 13) في نص يتوافق مع خصائص اللغة الهدف طلبا لسلامة التراكيب وسلاسة التعبير والوضوح وقوفا عند متطلبات التلقي في الثقافة المستقبلة حتى تُكلّل الترجمة بالنجاح.

وتظهر جلية أهمية السياق ضمن النظرية التأويلية في إسداء معنى للكلمة وتحديده، إذ «لا تعدو الكلمات المتفردة أن تأخذ مجرد دلالات افتراضية مثلها مثل الجمل التي لا تكاد أن تُحيل بمعزل عن سياقها سوى إلى معان افتراضية». (Lederer & Seleskovitch, op.cit, p.17) كما يتحدّد معنى الكلمة من خلال ما يُحيط بها من كلمات،

ومن شأن هذا المعنى أن يُحدّد بدوره معنى الكلمات الأخرى، حيث تُشكّل تلك الكلمات مجتمعة السياق الوحيد الذي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار. (Lederer, op.cit, p.4)

وفي الأخير، نخلص القول أن استعمال الألفاظ يفيد في إنشاء معنى وفق عملية تلفظية يقصد بها مخاطبة متكلم لمتلقي في ظروف وملابسات ودوافع تواصلية، يختلف فيها المعنى عن الدلالات المرجعية لتلك الألفاظ. فالقول أنك تملك القدرة على فهم اللغة بمجرد تمكنك من قواعدها النحوية والكلمات التي يحتويها ملفوظ فهو فهم خاطئ لأنك سوف لن تستشف في أحسن الأحوال سوى معاني افتراضية. لأن فهم خطاب أو نص هو عملية يتم فيها استنتاج المعنى من تركيبة لغوية مسموعة أو مكتوبة من خلال الجمع بين المدخلات المعرفية ومعاني اللغة. (Lederer, op.cit, p.230) ويمكننا القول كذلك بأن التكافؤ اللغوي لا ينشأ سوى بمقاربة اللغات على أساس أنها نظام من الروابط والتقابلات. وأن التكافؤ على مستوى الخطاب لا ينشأ إلا بالرجوع إلى مقام تواصلي (أو إطار تلفظي) ضمن سياق لغوي. (Delisle, 1980, p.63) ثم إن المعنى الذي يحمله الخطاب أولى من دلالة الألفاظ بالنقل في الترجمة، لأن إدراك المترجم يتعدى المحتويات الدلالية التي يتم استقاؤها من القواميس، ليتكفل بنقل المعنى الذي تُساعد الوحدات اللغوية بدلالاتها وتركيبها وتناسقها في بنائه.

الخاتمة:

تبيَّن من خلال هذه الورقة البحثية أن السياق عنصر مهم في فعالية الخطاب، ذلك ما يُحتّم توجيه الأنظار في الترجمة إلى الخطاب وليس إلى الكلمات و الجمل منعزلة. كما تبيّن أن تحليل الخطاب هو السبيل إلى تحصيل المعنى ضمن عملية ذهنية ومعرفية معقدة تنطلق من القراءة والفهم فالتأويل ثم إعادة الصياغة. ويتم هذا التحليل على مستويين: مستوى اللغة ومستوى الكلام، أي على مستوى الدلالة أو على مستوى المعنى .الأول تحليل لغوي دلالي طلبا لما تُحيل إليه الكلمة في النظام المجرد للغة، حيث تتحدد المعاني الدلالية (المعجمية) في الخطاب بفضل المجال المعرفي للنص وخصائص فعل كلامي فردي لدى كل مؤلف (Lederer, op.cit, p.227). ويمس التحليل اللغوي جوانب الألفاظ والأسلوب والتراكيب، خاصة إذا تعلق الأمر بلغة الأدب التي تمتاز بجمال الكلمات والصور البيانية والمحسنات البديعية، ليكون لها تأثير في معنى النص، بل تُكمّله وتُجمّله وتُحدث أثرا في القارئ، وإذا تعلق الأمر بلغة متخصصة في النصوص العلمية، فيكمن جمال الأسلوب في بساطته والدقة في اختيار الكلمات والمصطلحات مع مراعاة نجاح إيصال المعلومة. أما الثاني فتحليل معنوي للظفر بما يُحيل إليه المعنى. ويتعلق الأمر بالمعاني والأفكار والمعارف التي يستشفها القارئ أو المترجم من المفردات والتراكيب اللغوية والنصوص التي جاءت في سياق مُعيّن، وفق قراءة معمَّقة وعملية تركيبية تجمع المعاني اللغوية والمدخلات المعرفية الخاصة بها في حالة ذهنية واعية في جوانبها الإدراكية والعاطفية (Lederer, ibid, p.228)، خاصة إذا كانت المعاني مجازية إيحائية، مستعينًا بزاده اللغوي ومعارفه وقدراته الفكرية والثقافية وخبرته، دون إهمال النظام الاجتماعي الذي نشأ فيه النص والسياق المصاحب له حتى لا يزيغ عن معاني ومقاصد النصوص.

كما يمكننا أن نستنتج بأن مقاربة تحليل الخطاب تُفيد في:

- التمييز بين المعنى الدلالي المرجعي والمعنى السياقي.
- تأويل معاني النصوص المراد ترجمتها.
- تدريب المترجمين على تحليل البنى اللغوية والنظر في سماتها وإرجاعها إلى الظروف المحيطة بإنتاجها لصقل مهاراتهم في تحصيل المعنى.
- تحليل الترجمات قصد تقييمها ونقدها.

قائمة المراجع:

- حمداوي جميل، (2015)، *محاضرات في لسانيات النص*. الرباط، المغرب : منشورات فكر
- رونالد لانقاكر، (2008)، *مدخل في النحو العرفني*، تر: الأزهر الزّناد، (2018)، تونس، معهد تونس للترجمة
- سعيد حسن بحيري، (1997)، *علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات*، الشركة المصرية العالمية، لونجمان
- عبد الله الحميدان، *المقومات الذهنية التامة في عملية الترجمة*، تر: الحسين الحافر، (1998)، مجلة الجابري – العدد 10، https://www.aljabriabed.net/n10_07alhafer.htm
- عبد القاهر الجرجاني، (1992)، *دلائل الإعجاز*، القاهرة، مطبعة المدني، الطبعة الثالثة
- كريمة سالمي، (2022)، *اللسانيات التداولية والترجمة: على خط التوازي أم نحو مزاوجة نظرية؟* مجلة ألف، المجلد 9، رقم 1، ص 559-576، https://www.asjp.cerist.dz/en/article/187993
- كريستينا شافنر، (2002)، *دور تحلل الخطاب في الترجمة وتدريب المترجم*، ترجمة محي الدين حميد، (2007)، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود – النشر العلمي والمطابع
- BRISLIN, R.W. (1976). *Translation Applications and research*, New York, Gardness Press, Inc
- CATFORD, J.C. (1965). *A Linguistic Theory of Translation*, London, Oxford University Press
- DE BEAGRANDE.R & DRESSLER, W. (1981). *Introduction to Text Linguistics*, London, Longman
- DELISLE, J. (1997). *La traduction raisonnée*, Canada, Presses de l'Universitéd'Ottawa
- DELISLE, J. (1980). *L'analyse du discours comme méthode de traduction*, Canada , Presses de l'Université d'Ottawa
- DELISLE, J. (1981). *L'enseignement de l'interprétation et de la traduction : de la théorie à la pédagogie*, Canada, Presses de l'Universitéd'Ottawa
- Dictionnaire de linguistique, Larousse
- HICKEY, L. (1998). *The Pragmatics of Translation Topics in Translation*, Multilingual Matters, England
- LEDERER, M. Translation. (1994). *The interpretive model*. translated by Ninon Larché,(2014), Routledge

- LEDERER, M et SELESKOVITCH, D. (1986). *Interpréter pour traduire*. Paris, Didier Erudition
- MACHIN. D & MAYR. A. (2012). *How to Do Critical Discourse Analysis*. London, SAGE publication Ltd
- MOUNIN, G. (1972). *Clefs pour la sémantique*, Paris, Seghers
- MOUNIN, G. (1976). *Linguistique et traduction*, Bruxelles, Dessart et Mardaga
- MUNDAY, J. (2001). *Introducing Translation Studies*. London and Newyork, Routledge
- MUNDAY, J. (2017). *Discourse Analysis in Translation Studies*, John Benjamins Publishing Company
- NIDA, E. (2000). «Principles of Correspondence», in Venuti. L. (Ed.) *The Translation Studies Reader*. London, Routledge